البحث الثامن

محطات تربوية وحضارية في جمع المصحف ورسمه

Educational and Cultural Stations in the Collection and Calligraphy of the Qur'an

إعداد

أ.د. شادي بن أحمد بن توفيق الملحم

الأستاذ في قسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

Prof.D.r./ Shadi bin Ahmad bin Tawfiq Al-Melhim

Professor, Qur'an and its Sciences Department,

College of Sharia, Qassim University, KSA.

الملخص:

رسم المصحف من أهم ما يميز هذه الأمة ويبرز جوانب مضيئة من سبقها وحضارتها، ومما يؤكد أهميته؛ العناية الفائقة من لدن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين في هذا الأمر، فبدأت كتابة القرآن مبكرا منذ بداية العهد المكي واستمرت العناية بها وجمع المصحف حتى استقر في المصاحف العثمانية بدقة ومنهج علمي رصين، وهذا ساعد في حفظ اللغة وصون الألسن عن الخطأ في كتاب الله، ومعرفة كيفية الوقف والبدء، وتمييز القراءات المتواترة عن غيرها، فضلا عن الدلالة على أصل الحرف في كثير من الكلمات.

وجاء هذا البحث مبرزا جوانب ومحطات تربوية وحضارية صاحبت هذا الجمع والرسم لكتاب الله العزيز، وقد بلغت عشرا من المحطات ما بين تربوية وحضارية، في كل منها وقفات وعبرات ومنارات تهدي السالكين.

الكلمات المفتاحية: المصحف، رسم، حضارة، تربية.

Abstract:

The calligraphy of the Qur'an is one of the most important features of this nation, highlighting the luminous aspects of its progress and civilization. Its importance is underscored by the care taken by the Prophet (peace and blessings be upon him) and the Rightly-Guided Caliphs in this regard. The calligraphy of the Qur'an began early, at the beginning of the Meccan era, and continued with careful attention and collection of the Qur'an until it was established in the Uthmanic codices, meticulously and with a scientific methodology. This helped preserve the language, protect tongues from errors in Qur'an, and enable us to understand how to pause and begin, distinguish between the frequent readings and other readings, as well as indicate the origin of the letters in many words.

This research highlights the educational and civilizational aspects and stations that accompanied this collection and calligraphy of the Qur'an. It has reached ten stations, ranging from educational to civilizational, each of which contains benefits, spoils, lessons, and beacons that guide those who seek the path.

Keywords: Qur'an, calligraphy, civilization, education.

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن أول وأولى ما تصرف إليه الهمم، وتوقف عليه العناية؛ حفظ القرآن الكريم، لأنه حبل الله المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم، وهو الفصل ليس بالهزل، لا يخلق على طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حاج به فلح[1].

وعلوم القرآن كثيرة مهمة، وإن من أبرزها علم رسم المصحف، ومن أبوابه الرئيسة: الرسم العثماني، وقد أوجب أكثر العلماء الالتزام به في كتابة المصاحف، وصارت موافقة الرسم العثماني شرطا لقبول القراءة، وقد نص على ذلك أكثر من صنف في رسم المصحف وغيرهم،كالمهدوي[2]، والداني[3]، والبيهقي[4]، وغيرهم[5]، وأصدرت المجامع الفقهية في العصر الحديث فتاوى بوجوب الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف[6]، وإن خالف بعض العلماء في ذلك فلا ضير[7].

وإن الناظر في جمع المصحف وكتابته من عهد النبوة حتى استقر في المصاحف العثمانية، يرى مدى العناية والدقة في هذا العمل الجليل، كما يلاحظ حرص النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم على خروج المصحف بأفضل ما يكون، كيف لا وهو جزء من حفظه الذي تكفل الله به سبحانه، ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على جملة من المحطات والوقفات التربوية والحضارية في هذا العمل المتقن، في زمن قلت فيه الكتابة ولم تشتهر، كما ندرت أدواتها وشح خطاطها.

أهمية البحث:

1- إبراز جوانب مهمة ومضيئة من تراث الأمة الإسلامية متعلقة بأفضل كتبها: القرآن الكريم.
2- الرد على بعض الشبهات المتعلقة بجمع وكتابة المصحف الشريف.
3- بيان فوائد رسم المصحف في حفظ القرآن الكريم وتعلمه.

---

[1]- بتصرف من هجاء المصحف، للخوارزمي، 109، وهي مقتبسة من حديث ابن مسعود، فضائل القرآن، لأبي عبيد، 49.
[2]- هجاء مصاحف الأمصار، 34.
[3]- المقنع، 124، والمحكم، 90.
[4]- شعب الإيمان، 4/ 219.
[5]- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 1/ 379، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 6/ 2200.
[6]- رسم المصحف وضبطه، لشعبان إسماعيل، 81، وتوجيه الرسم والضبط، لغانم الحمد، 12.
[7]- انظر الانتصار، للباقلاني، 2/ 549، مناهل العرفان، للزرقاني، 1/ 374.

أهداف البحث:

1- توضيح وبيان بعض المحطات المهمة في جمع المصحف ورسمه.
2- ربط بعض أعمال الصحابة رضوان الله عليهم في جمع ورسم المصحف مع حال القراء اليوم.
3- الوقوف على جوانب مهمة في أهمية رسم المصحف في سائر المجالات.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي في سبر المحطات التربوية والحضارية التي رافقت جمع وكتابة المصحف الشريف منذ العهد النبوي وحتى العهد العثماني، ثم المنهج التحليلي لاستخراج الفوائد والعبر من تلكم المحطات، والوقوف على بعض الجوانب المهمة فيها؛ لتكون نبراسا لطالب العلم وأهل القرآن.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين، وفي كل مبحث عدة مطالب على النحو التالي:

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية وفوائد الكتابة.

المطلب الثاني: أهمية وفوائد رسم المصحف.

المبحث الأول : محطات تربوية في جمع المصحف ورسمه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تشكيل اللجنة.

المطلب الثاني: مقتل القراء هو السبب الرئيس لجمع المصحف.

المطلب الثالث: الحزم.

المطلب الرابع: النأي بالقرآن عن ما ليس له.

المبحث الثاني: محطات حضارية في جمع المصحف ورسمه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: طريقة الكتابة.

المطلب الثاني: وضوح الرؤية.

المطلب الثالث: تقديم الأهم.

المطلب الرابع: البناء على الثابت المحكم.

المطلب الخامس: الزيادة على الرسم.

المطلب السادس: نقل الرقاع من مكة إلى المدينة.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج وأبرز التوصيات.

التمهيد:

المطلب الأول: أهمية وفوائد الكتابة:

نزل القرآن الكريم خير الكتب بلغة العرب التي هي أفضل اللغات، فزادها شرفا، وجاء الحث على الكتابة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها: (والقلم وما يسطرون) [1]، وهذا بعد الحث على القراءة كما في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) [2]، وهاتان الآيتان من أول ما نزل، ومن أواخر ما نزل قوله تعالى: (وكتبه ورسله) [3]، وتقرأ بالمتواتر(وكتابه) [4]، وفي هذا إرشاد إلى أن كلامه الموحى إلى رسله طريق تخليده، تدوينه في الصحف، وفي اتخاذ النبي ﷺ كتاب للوحي دليل قاطع على أهمية كتابة القرآن وغيره من العلوم، حتى صارت الكتابة حرز الحكم، وكنز جوامع الكلم، وعمدة يرجع إليها عند النسيان، إذ لا يطرأ عليها ما يطرأ على الأذهان، لا لأنها المعتمد بل تكون لرد الشارد كالمستند[5].

وأول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام إلهاما من الله تعالى[6]، وكذا ورد أنه أول من كتب[7]، وقد مرت الكتابة بمراحل مختلفة وطرائق متعددة، والقياس يقتضي أن يكون لكل حرف شكل، لكنهم شركوا بينها على حد المشتركات، فرجعت إلى سبعة عشر شكلا يأتلف وصله وفصله ويختلف[8]، والمراد بالخط أو الكتابة: تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به والوقف عليه[9].

والكتابة مرحلة متقدمة لبيان الشيء، لذا يقال للشيء وجود في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في العبارة، ثم في الكتابة، وكل دال على ما قبله[10]، ومن هنا تظهر أهمية الكتابة بشكل عام، والكلام عن هذا يطول، وكذا الحديث عن أنواع الخط القياسي والاصطلاحي، ومراحل تطور الكتابة وما طرأ عليها، وليس هذا مقامه[11].

المطلب الثاني: أهمية وفوائد رسم المصحف:

بعد ما بين في المطلب الأول من أهمية الكتابة وما إليها، يشير الباحث في هذا المطلب إلى أهمية خاصة لكتابة القرآن الكريم وهو ما يعرف برسم المصحف، وأهميته لا تخفى ولا يختلف عليها اثنان، ويكتفى هنا بالإشارة إلى أهم النقاط في ذلك.

---

[1]- سورة القلم، 1.
[2]- سورة العلق، 1.
[3]- سورة البقرة، 286.
[4]- النشر في القرءات العشر، لابن الجزري، 537/3.
[5]- بتصرف من جميلة أرباب المراصد، للجعبري، 84.
[6]- الصاحب، لابن فارس، 34.
[7]- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لابن هشام، 78/1، وصبح الأعشى، للقلقشندي، 9/3.
[8]- جميلة أرباب المراصد، للجعبري، 94.
[9]- ينظر التعريفات، للجرجاني، 59، والمطالع السعيدة في شرح الفريدة، للسيوطي، 369/2.
[10]- معيار العلم، للغزالي، 46، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزي، 42.
[11]- للاستزالدة ينظر: الكتاب، لسيبويه، 320/3، والجامع إلى ما يحتتاج إليه من رسم المصحف، لابن وثيق، 29، والقواعد المقررة والفوائد المحررة، للبقري، 213.

1- زيادة التثبت والتيقن أن ما نقرؤه هو القرآن الكريم الذي نزل على محمد ﷺ، دون زيادة ولا نقص، بلا خلل ولا زلل[1].

2- تمييز القراءات المتواترة عن كثير من القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف، وإن وافقت بعض القراءات الشاذة رسم المصحف، فالسند والتواتر هو الفيصل في ذلك[2].

3- فيه تطوير لكتابة العربية، ورفع سويتها، وبيان جمالها، وقدرتها على استيعاب كثير من المعاني والفوائد[3].

4- المساهمة الكبرى في حفظ القرآن الكريم من الضياع والتحريف والشك وغيره، وإن كان الأصل في الحفظ أن يكون في الصدور، لكن الصحف والسطور تقف جنبا إلى جنب مع المحفوظ في الصدور[4].

5- معرفة كيفية الوقف والبدء للكلمات التي رسمت بأكثر من طريقة، بالتاء والهاء، بالألف أو النون، بالقطع والوصل[5].

6- إعانة القارئ على عدم اللحن في القراءة، إذ من خلال الرسم يهتدي القارئ لصحة القراءة، ويرتفع اللبس ويزول الإشكال مما قد يتوهم[6].

7- الدلالة على أصل الحرف كرسم الصلاة بالواو، وأصل الحركة كـ(نبإ المرسلين) فأصل الكسرة الياء، أو الدلالة على بعض اللغات الفصيحة كالتاء والهاء[7]، في كثير من الكلمات التي تكتب بأكثر من طريقة.

8- الترجيح والاحتجاج به في اللغة والإعراب والصرف، ويظهر ذلك جليا عند المتقدمين كسيبويه، والزجاج، وابن خالويه، وابن جني، وغيرهم، لذلك ذكر النحويين علم الخط في كتب النحو؛ لضرورة ما يحتاج إليه، بل إن كثيرا من مسائل النحو تستفاد من الرسم والخط[8].

وهذه الفوائد التي سلفت، لا تقل قيمتها ولا ينقص قدرها مع القول بأن الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، ولا يعارضها حديث النبي ﷺ القدسي: "ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان..." [9]، فأخبر سبحانه وتعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب[10]، بل إن رسم المصحف من أهم أسباب حفظ القرآن الكريم التي تكفل الله بحفظه، وهو يسير متوافقا مع حفظ الصدور، يكمل أحدهما الآخر.

---

[1]- انظر الإيضاح في القراءات، للأندرابي، 143.
[2]- انظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 1/ 134.
[3]- انظر الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، لغانم الحمد، 28.
[4]- -انظر سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين' لعلي الضباع، 9.
[5]- انظر منار الهدى، للأشموني، 1/ 32.
[6]- انظر المحكم في نقط المصاحف، للداني، 11- 15.
[7]- انظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، للداني، 365.
[8]- بتصرف من مقدمة مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود، 10/1، وانظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي، 6/ 341، ورسم المصحف، للدكتور شلبي، 57.
[9]- أخرجه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها، رقم 2865.
[10]- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 1/ 128.

المبحث الأول: محطات تربوية في جمع المصحف ورسمه:

المطلب الأول: تشكيل اللجنة:

من أبرز المحطات التربوية في جمع المصحف اللحنة التي شكلت لجمع المصحف العثماني، إذ بدأت بأربعة من الصحابة –زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام- رضي الله عنهم، وهنا وقفات كثيرة منها:

- أعضاء اللجنة من المهاجرين خلا الرئيس فمن الأنصار، وهذا لسبب اعتماد الكفاءة في التشكيل.
- أعضاء اللجنة ليسوا من كبار الصحابة، ولا السابقين، ولا العشرة المبشرين، وإنما هم من الشباب الأنسب والأقدر على هذا العمل.
- زاد عدد اللجنة عند الحاجة حتى فاق العشرة وفي هذا دليل على تناسب العمل مع التشكيل.
- من أبرز الأعضاء ابن الزبير رضي الله عنه، وهو من أشهر مقاتلي الصحابة وأشجعهم، وفي هذا درس تربوي مهم في التكامل بين أخذ القرآن والجهاد في شخص واحد.
- رأس العمل وأسه زيد بن ثابت، قال الشاطبي:

فأجمعوا جمعه في الصحف واعتمدوا زيد بن ثابت العدل الرضى نظرا

فقام فيه بعون الله يجمعـــــــــــه بالنصح والجد والحزم الذي بهرا[1].

وهو الذي كلف بالجمع الأول زمن الصديق، وهنا دروس تربوية كثيرة منها: في يوم الهجرة كان عمره أحد عشر عاما، أي طفل صغير، وقد نشأ يتيما، وقد نزل أكثر القرآن وهو لم يبلغ الحلم، وعند الجمع الأول كان زيد في أول العشرينات من عمره، وفي الجمع الثاني كان في الثلاثينات، ولم يكن من أول كتاب الوحي بل من آخرهم، فسبب الاختيار الرئيس لهذا الصحابي هو الكفاءة، ومما يوضح جانبا من قدراته رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب منه أن يتعلم السريانية، فتعلمها في بضعة عشر يوما، قال عبد الفتاح القاضي: "وإنما آثر الصديق زيدا بهذه المنقبة مع أن في الصحابة من هو أكبر منه سنا، وأقدم إسلاما، وأكثر فضائل؛ لأنه كان من أشهر الصحابة إتقانا لحفظ القرآن الكريم كله، ووعيا لحروفه، وأداء لقراءاته، وضبطا لإعرابه ولغاته، وكان مداوما لكتابة الوحي للرسول ﷺ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياته ﷺ، وكان مع ذلك عاقلا ورعا، كامل الدين والعدالة، مأمونا على القرآن، غير متهم في دينه ولا خلقه، فاجتمع فيه من المزايا والخصائص ما لم يجتمع لغيره من أكابر الصحابة"[2].

المطلب الثاني: مقتل القراء هو السبب الرئيس لجمع المصحف:

وهذا الأمر واضح بين؛ فالجمع الأول - جمع الصديق – كان الباعث الأكبر له: مقتل الحفاظ أو القراء كما كانوا يسمون قديما، وذلك في قتال المرتدين، وأكثرهم في اليمامة أرض مسيلمة، فإن القراء كانوا أول المشاركين في قتال المرتدين، وهذا تأكيد لدور الحافظ لكتاب الله في مجتمعه،

[1]- عقيلة أتراب القصائد، البيتان 26، 27.
[2]- تاريخ المصحف الشريف، لعبد الفتاح القاضي، 39.

فلا يقبل ولا يعقل أن يكون الحافظ سلبيا، أو محدود الأثر والتأثير، بل لا بد أن يكون طليعة المجتمع، ذا أثر يرى القرآن في أخلاقه وأعماله، قال الصديق للفاروق: "إن القتل قد استحر بالقراء، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في سائر المواطن، فيذهب القرآن، وقد رأيت أن تجمعوه"[1]، وقال الشاطبي:

إن اليمامة أهواها مسـيلمة الـ كذاب في زمن الصديق إذ خسرا

وبعد بأس شديد حان مصـرعه وكان بأسا شديدا على القراء مستعرا

نادى أبا بكر الفاروق خفت على الـ قراء فادرك القرآن مستطرا[2].

وهذا الملحظ يقال مع ما يرى من بعض حفاظ اليوم وسلبيتهم في مجتمعاتهم، فلا أثر للقرآن في حياتهم ولا مجتمعهم.

المطلب الثالث: الحزم:

بعد أن جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف وأرسلها إلى الأمصار، أمر الناس بالتزامها، ثم أمر بحرق ما سواها ليقطع كل خلاف، وفي هذا من الحزم وحمل الناس على الحق ما فيه من مصلحة راجحة، وهذا العمل الحازم لم يكن فرديا، إذ حاز على إجماع الصحابة كما قال علي رضي الله عنه: "أيها الناس الله الله، إياكم والغلو في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها..." [3]، وقال مصعب بن سعد:"أدركت الناس متواترين حين حرق الناس المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال لم ينكر ذلك منهم أحد"[4].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر؛ صبره حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف"[5].

والآثار في ذلك كثيرة معلومة لا حاجة لسردها، ولا ينقضها مخالفة آحاد من الصحابة رضوان الله عليهم في فترة محدودة، بل المراد هنا تثبيت أمرين:

الأول: حزم عثمان وهو المعروف باللين والحلم، إلا أنه في هذا الأمر كان حازما جازما، لم يلتفت إلى اعتراض آحاد من الصحابة مع فضلهم وحرصهم.

الثاني: مهما بلغ العمل من الدقة والتميز، فلا بد من بعض النقد من محب أو مبغض، فمن يعمل عليه التحمل، وفي صنيع عثمان رضي الله عنه المتقن في جمع المصاحف خير دليل، فعندما قامت الفتنة، نعته بعضهم بقولهم (حراق المصاحف)، وهو من هو في الفضل والسبق وحب القرآن.

---

[1]- سنن الترمذي، 3103، فضائل القرآن، لأبي عبيد، 28، وأصل الرواية في صحيح البخاري، 4986.
[2]- عقيلة أتراب القصائد، الأبيات 23- 25.
[3]- كتاب المصاحف، لابن أبي داود، 19.
[4]- المرجع السابق.
[5]- المرشد الوجيز، لأبي شامة، 71.

المطلب الرابع: النأي بالقرآن عن ما ليس له:

لما جمع المصحف أو الصحف في زمن الصديق وضعت عنده، وبعد موته رضي الله عنه، نقلت إلى عمر أمير المؤمنين، ثم إلى حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها، قال الشاطبي:

فأمسك الصـــــحف الصديق ثم إلى الفاروق أسلمها لما قضى العمرا

وعند حفصة كانت بعد فاختلف الـــ قراء فاعتزلوا في أحرف زمرا[1].

وبقيت تلكم الصحف عندها إلى أن ولي مروان المدينة، فطلبها منها فأبت، فلما توفيت طلبها من أخيها عبد الله، فبعث بها إليه، فأمر بإحراقها وقال: "إنما فعلت ذلك لأني خشيت إن طال بالناس زمان، أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب"[2].

والسبب الرئيس لجعل الصحف عند حفصة بعد وفاة عمر، أن لا تكون مرجحا لأحد لخلافته، إذ رشح عمر رضي الله عنه ستة من الصحابة – وهم بقية العشرة المبشرين- لخلافته، فلو وضع الصحف عند أحدهم لكان ذلك مرجحا له، فوضعها عند حفصة أم المؤمنين التي لن تكون أميرا ولا خليفة، ومن حياء عثمان رضي الله عنه، لم يجعل هذه الصحف عنده بعد توليه، بل أخذها عند الحاجة إليها في الجمع الثاني ثم ردها إلى حفصة، وفي هذا صون للمصحف عن ما ليس له.

ومما يتبع هذه المحطة المهمة؛ خلو المصاحف من أي إضافة على الآيات القرآنية، فلم تدون فيه معان ولا تفسير ولا تقسيم، ولا مكي ومدني، ولا أسماء أخر للسور، ولا حتى عد الآي، ولعل هذا الخلو من العد من أبرز أدلة القائلين بعدم توقيف العد كله[3]، إذ لو كان كذاك لجعله الصحابة من المصاحف، فهو من المهمات، لكن المصاحف العثمانية كلها خلت منه، وفي هذا نأي للمصحف عن ما ليس له أو فيه، ليبقى المصحف كما أريد له يجمع القرآن وليس غير القرآن.

[1]- عقيلة أتراب القصائد، البيتان 29، 30.
[2]- تاريخ المصحف الشريف، لعبد الفتاح القاضي، 42.
[3]- انظر مقدمة حسن المدد، لبشير الحميري، 45- 60، وبحث عد الآي بين التوقيف والاجتهاد، لشادي الملحم.

المبحث الثاني: محطات حضارية في جمع المصحف ورسمه:

المطلب الأول: طريقة الكتابة

كتبت المصاحف العثمانية بطريقة تحتمل الأحرف المراد لها أن تجمع في تلكم المصاحف، وذلك في آلاف المواضع، من ترك النقط والشكل وبعض الحروف كالألفات والنونات وغيرها، قال الشاطبي:

فجردوه كما يهوى كتابته ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا[1].

ومع هذه الطريقة الدقيقة نجد تجلي الصحابة رضوان الله عليهم في حل بعض الإشكالات التي وردت، ومنها: اختلاف كتابة ما لا يحتمله رسم واحد، وتفريق ذلك بين المصاحف العثمانية، ولعل هذا من السبق الحضاري في طريقة الكتابة.

ولم يكتبوا هذه الكلمات برسمين معاً في مصحف واحد، خشية التوهم أن اللفظ نزل مكرراً بقراءة واحدة، بل هما قراءتان، وكذلك لم يكتبوا هذه الكلمات برسمين؛ أحدهما في الأصل والثاني في الحاشية، لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول، أو أن الأصل مرجح أو مقدم، وهذا كله غير مراد[2].

ومن التميز في طريقة الكتابة كذلك، أن هذا التفريق للكلمات المختلفة في الرسم، لم يشمل المصحف الإمام ولا المصحف المدني، لئلا يظن أن هذا ترجيح لهما عن غيرهما، وإنما زبرت تلكم الكلمات في المصاحف الأربعة الأخرى على النحو التالي:

انفرد المصحف الشامي بست عشرة كلمة، والمكي بست كلمات، والكوفي بخمس، والبصري بكلمتين اثنتين، فتلكم تسع وعشرون كلمة، هي التي انفرد أحد المصاحف العثمانية برسمها[3].

المطلب الثاني: وضوح الرؤية:

إن وضوح الرؤية في كل عمل من أهم أسباب نجاحه، وهذا ظاهر في جمع المصحف ورسمه في محطات كثيرة، منها على سبيل المثال: عدد المصاحف العثمانية، فهي ستة عند أكثر المحققين، وخمسة عند كثيرين، وهذا محمول على أن مصحفي الإمام والمدينة متوافقان، فكأنهما مصحف واحد، وعليه فإن القولين متوافقان، أما القول بعدم وجود مصحف مكي فهو ضعيف، وما يخالفه قوي راجح.

فلو كان العدد غير واضح أو أنه أقل مما كان، لبثت الكلمات التي لا يحتملها رسم واحد فيها، أما وأن تلكم الكلمات مزبورة في المصاحف الأربعة –خلا مصحف الإمام ومصحف المدينة-، فهذا دليل قوي على وضوح الرؤية وإحكام الخطة، وتحديد عدد المصاحف المراد كتابتها قبل بدء العمل، ولم يخص المصحف الإمام ولا المصحف المدني برسم مخالف، لما سبق في المطلب الأول وفي هذا من الوضوح والنضج ما فيه.

---

[1]- عقيلة أتراب القصائد، رقم البيت 35.

[2]- انظر تاريخ المصحف الشريف، عبد الفتاح القاضي، 46

[3]- لتفصيل ذلك انظر بحث ما انفرد برسمه أحد المصاحف العثمانية، شادي الملحم

وفي هذا أيضاً مرجح قوي على عدد المصاحف على أنها ستة مع الإمام، ولا يقبل القول بأقل من ذلك –إلا كما أسلفت من اعتبار الإمام والمدني مصحف واحد-، فيكون القول بأنها خمسة اختلافا شكليا، أما القول بأقل من ذلك فلا يقبل لثبوت تلكم المصاحف، وتفرد كل منها برسم بعض الكلمات الثابتة في القراءات المتواترة، وأما القول بأكثر من ستة فلم يثبت ولم يقم عليه دليل صريح، قال الشاطبي:

وسار في نسخ منها مع المدني كوف وشام وبصر تملأ البصرا

وقيل مكة والبحرين مع يمن ضاعت بها نسخ في نشرها قطرا[1].

المطلب الثالث: تقديم الأهم:

بلغ عدد كتاب الوحي أكثر من أربعين كاتبا[2]، وهذه الكتابة بدأت منذ العهد المكي، أي قبل فرض كثير من العبادات كالصيام والزكاة والحج، وفي هذا دلالة على أهمية هذا العمل الجليل من نواح كثيرة منها:

- التبكير في البداية.
- كثرة عدد الكتاب.
- المبادرة إلى كتابة القرآن فور نزوله.
- التدقيق النبوي : قال زيد بن ثابت "كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وهو يملي علي، فإذا فرغت قال (اقرأه) فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس"[3]، وفي هذا الأثر من الدلالات ما لا يخفى.

وأما التدقيق بعد الكتابة، فقال زيد: "كنا عند رسول الله ﷺ، نؤلف القرآن من الرقاع"[4]، ومعنى التأليف هنا: الترتيب. ففي هذا التدقيق والترتيب منذ العهد المكي، مع النهي عن كتابة غير القرآن من تقديم الأهم ما فيه، وهذا مما يسجل من حضارة وإبداع الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الرابع: البناء على السابق المحكم:

وهذا يتضح جليا في الجمعين؛ فالصديق عندما أمر بالجمع الأول، وكلف زيدا ومن معه، أمرهم أن يجمعوا ما كتب في العهد النبوي، قال زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"[5]، وقد طلب الصديق من عمر وزيد أن يقعدا على باب المسجد ويناديا: "من تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به"، وكانا لا يقبلان من أحد حتى يشهد شهيدان على

---

[1]- عقيلة أتراب القصائد، البيتان 36، 37.

[2]- انظر الاستيعاب لابن عبد البر 1/ 69، وإرشاد القراء والكاتبين للمخللاتي 1/ 120.

[3]- رواه الطبراني في المعجم الكبير 5/ 142، والهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 257.

[4]- رواه الترمذي رقم 3954، والحاكم في المستدرك رقم 2854 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[5]- كتاب المصاحف، لابن أبي داود، 1/ 157. العسب: جمع عسيب وهو فويق الكرب من السعف لم ينبت عليه الخوص، انظر لسان العرب، ابن منظور 88/2، واللخاف: جمع لخفة وهي حجارة بيض رقيقة، انظر لسان العرب، ابن منظور 11/ 227،

أن ذلك كتب بين يدي النبي ﷺ زيادة على حفظهم، وفي اختيار عمر لمثل هذا دلائل كثيرة لإعطاء الأمر أهمية كبيرة[1].

وكذا الحال في الجمع الثاني –جمع عثمان- وأول خطوة فيه: إرسال عثمان رضي الله عنه إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنها: "أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك"، وكانت صحف الصديق المرجع الأول للمصاحف العثمانية، ولا يخفى أنه ثمة فروق بين المصاحف العثمانية ومصحف الصديق ليس هذا مقام تفصيله، قال الشاطبي:

فاستحضر الصحف الأولى التي جمعت وخص زيداً ومن قريشه نفرا[2].

المطلب الخامس: الزيادة على الرسم:

مع تقدم الزمن ودخول كثير من الأعاجم في الإسلام، عسرت قراءة القرآن على كثير من الناس، فاضطر العلماء إلى زيادات على المصاحف العثمانية، وهو ما يعرف بالضبط، أما النقص عما رسم في المصاحف العثمانية فلم يقع، ولن يقع، وقد سبق الكلام عن كيفية كتابة المصاحف العثمانية بطريقة محتملة بأكثر من حرف أو قراءة، وكذا اختلاف الرسم بين المصاحف العثمانية في بعض الكلمات، وكل هذا بعيداً عن اللبس والخطأ في القراءة.

وزيادة في ضبط قراءة القرآن وعدم اللحن فيها، فقد بعث عثمان رضي الله عنه المعلمين من الصحابة مع المصاحف، ولما دعت الحاجة إلى النقط والشكل أحدث النقط على الحروف ثم نقطاً للشكل، ثم نقطا عند منتهى الآي، ثم الفواتح والخواتم، ثم خمسوا وعشروا، ولما عزم أبو الأسود الدؤلي على شكل المصحف، أرسل إليه زياد بن أبيه ثلاثين رجلا، اختار منهم واحدا من عبد القيس، فقال له أبو الأسود: "خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، فإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن تبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين"[3].

وليس المراد هنا تفصيل المراحل التي مر بها المصحف في الضبط، فهي كثيرة مشهورة سواء في النقط والإعجام، أو الحركات والشكل، أو مواضع الآيات، أو التقسيم تخميسا وتعشيرا، تحزيبا وتربيعا وتجزيئا، وكذا علامات الوقف المختلفة، وما يدل على كيفية الأداء من إمالة وتسهيل وإشمام وغيرها، على خلاف بين المشارقة والمغاربة في كل ما سبق أو أكثره، لكن المراد هنا تأصيل أن المصاحف العثمانية، زيد عليها كل ما سبق عندما دعت الحاجة لذلك، وأول ما بدأ به كان كثير من الصحابة حيا، وقد أجازوا ذلك[4]، ولا زال الضبط مستمرا إلى زماننا هذا، لكن مع كل ما مر به المصحف من ضبط وزيادات –وهي لا تشكل على رسم المصحف- لم يتم حذف حرف ولا شيء مما رسم في المصاحف العثمانية، فبقي الأصل موجودا وسيبقى بإذن الله.

[1]- انظر المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي، 55.
[2]- عقيلة أتراب القصائد، رقم البيت 33.
[3]- الوسيلة إلى كشف العقيلة، للسخاوي، 72.
[4]- أصول الضبط، لأبي داود، 4.

ويلاحظ هنا بأن الاختلاف في الضبط ، وتحديدا في علامات الوقف وارد لا يخفى، فلا نحجر واسعا ولا نحمل الناس على قول واحد في ذلك، فبعض علامات الوقف -كتعانق الوقف و(لا)- بعضها تم رفعها من كثير من المصاحف، وهذا مبني على الاجتهاد، وكذلك طريقة الضبط تختلف من زمان إلى آخر وبحسب الإمكانات المتاحة، قال أبو داود: "والمستحب من الألوان للضبط: الحمرة للشكل والصفرة للهمزة، وعلى ذلك كانت مصاحف أهل المدينة، في آخر زمن الصحابة والتابعين بعدهم، فموضع الفتحة والنصبة من الحروف أعلاها، وموض الضمة والرفعة وسطها وأمامها، وموضع الكسرة والخفضة تحتها"[1].

المطلب السادس: نقل الرقاع من مكة إلى المدينة:

بدأ نزول القرآن الكريم قبل الهجرة، بل منذ بداية البعثة وكان أغلب هذا النزول في مكة في ظروف صعبة على النبي ﷺ وصحابته، ومع ذلك جاءت روايات تؤكد أن القرآن الكريم كان يكتب في مكة –قبل الهجرة- وأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابته[2]، كما ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن بداية سورة طه كانت مكتوبة في رقعة في بيت أخته فاطمة[3]، ولم تكن هذه الرقعة بدعا دون غيرها، بل ثمة صحف كثيرة غيرها كانت بين الصحابة يقرؤون فيها القرآن[4].

وهنا يبزغ سؤال مهم، هل نقلت هذه الصحف والرقاع التي كتب عليها آيات وسور من القرآن من مكة ألى المدينة حين الهجرة! مع معرفة أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم هاجروا سرا، تاركين ديارهم وأمتعتهم وراءهم، ولم يحملوا إلا القليل مما خف وزنه وغلا ثمنه، ومن هنا نعلم يقينا أن الرقاع والصحف وإن ثقلت وزنا، إلا أن قيمتها كبيرة جدا، لذا لم يفرط الصحابة رضي الله عنهم بها، ولم يتركوها تضيع بين يدي كفار قريش، هذا من حيث المنطق والعقل، أما الأهم وهو النقل، فقد ثبت في رواية ابن حجر في كتابه الإصابة في ترجمة الصحابي رافع بن مالك الزرقي (أنه شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وكان أول من أسلم من الخزرج، ... ، وحكى ابن إسحاق أن رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، وروي بأخبار المدينة أن مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن، وأن رافع بن مالك لما لقي رسول الله ﷺ بالعقبة، أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة، ثم جمع قومه فقرأ عليهم في موضعه) [5].

وهذا الحرص النبوي على نقل الرقاع مع صعوبة ذلك فيه من الدروس والوقفات ما فيه، فحضارة الأمم لا بد من المحافظة عليها، وثمة مراحل ومنعطفات ينبغي العناية والتنبه لها، وإلا ضاع بعض أو جل تلكم الحضارة، ففي هذا العمل المهم دلائل كثيرة في الحفاظ على القرآن الكريم، خاصة في الظروف الصعبة التي يضيع فيها غالبا الكثير.

---

[1]- أصول الضبط، لأبي داود، 10.
[2]- ينظر الاستيعاب، لابن عبد البر، 1/ 68
[3]- الطبقات الكبرى، لابن سعد، 3/ 267، والسيرة النبوية، لابن هشام، 1/ 344
[4]- حقائق عن رسم المصحف، غانم الحمد، 13
[5]- الإصابة 2/ 369، وينظر تاريخ مكة المشرفة، لابن الضياء العمري، 306.

الخاتمة:

بعد التوفيق والإعانة من الله سبحانه فقد كمل هذا البحث ووقف الباحث فيه على جملة من المحطات التربوية والحضارية في جمع المصحف ورسمه، وقد توصل إلى مجموعة من **النتائج** منها:

1- العناية الفائقة في كتابة وجمع المصحف في الجمع النبوي وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وسار المسلمون على ذلك في شتى العصور.
2- للكتابة والخط في اللغة العربية أهمية بالغة، فهي مسألة جوهرية لا شكلية.
3- رسم المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه له فوائد كثيرة من تمييز القراءات، وحفظ القرآن، ومعرفة كيفية الوقف والبدء، ومن دلالة على أصل الحروف في بعض الكلمات وغيرها.
4- حظي جمع القرآن الكريم باهتمام ودقة منذ نزول القرآن إلى أن جمع في عهد عثمان رضي الله عنه، وهذا كله باتفاق الصحابة وإجماعهم.
5- لم تنقص المصاحف في كتابتها عن ما رسم في عهد عثمان رضي الله عنه، وإنما زيد عليها النقط والشكل وعلامات الوقف ومواضع الآيات وما إلى ذلك، وهذا ما يعرف بالضبط، وفيه تيسير للتلاوة وبعد عن الزلل.
6- كتبت المصاحف العثمانية بطريقة دقيقة مميزة، تحتوي على ما أراد الصحابة رضي الله عنهم جمعه في تلكم المصاحف، وما لا يمكن كتابته في مصحف واحد من الأحرف السبعة كتب بأكثر من طريقة في تلكم المصاحف.
7- ثمة اختلافات يسيرة في رسم المصاحف العثمانية المرسلة إلى الأمصار؛ لتستوعب ما لا يحتمله رسم واحد من الأحرف السبعة.
8- قراء القرآن الكريم هم طليعة المجتمع قديما وحديثا، وهم من يرسم التاريخ بعد ما رسموا المصاحف.

التوصيات:

لا زال علم رسم المصحف خصبا، يحتمل مزيدا من الدراسات العميقة التي تبرز روعة وجمال هذا العلم، فأوصي الباحثين بضرورة النظر والبحث العميق في هذا العلم، واستخراج مزيد من لطائفه وحكمه.

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ط1، 1426هـ.
- الاستيعاب لمعرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق علي البجادي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1960م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق علي البجادي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.
- أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، أبو داود، تحقيق د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ط1، 1427هـ.
- الانتصار للقرآن، الباقلاني، تحقيق د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمان، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ.
- الإيضاح في القراءات، الأندرابي، تحقيق منى عدنان، رسالة دكتوراه، جامعة تكريت، 1423هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ.
- تاريخ المصحف الشريف، عبد الفتاح القاضي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1441هـ.
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ابن الضياء العمري، تحقيق علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- التعريفات، الجرجاني، بغداد، 1406هـ.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزي، تحقيق د. عبد الله الجبوري، بغداد، 1410هـ.
- توحيد الرسم والضبط في طباعة المصاحف، د. غانم الحمد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط1، 1441هـ.
- الجامع إلى ما يحتاج إليه من رسم المصحف، ابن وثيق الأندلسي، تحقيق د. غانم الحمد، بغداد، 1408هـ.
- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، برهان الدين الجعبري، تحقيق محمد الزوبعي، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 1431هـ.
- حسن المدد في معرفة العدد، برهان الدين الجعبري، تحقيق بشير الحميري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط1، 1431هـ.
- حقائق عن رسم المصحف في الرد على أباطيل بعض المؤلفين وأوهامهم، د غانم الحمد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط1، 1441هـ.
- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، ط2، 1422هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مصر، ط1، 1387هـ.
- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1420هـ.

- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وصاحبيه، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، 1375هـ.
- شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1423هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، ابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1383هـ.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، نسخة مصورة عن الطبعة القديمة، د.ت.
- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، شرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، الشاطبي، تحقيق د. أيمن سويد، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 1427هـ.
- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق مروان العطية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1415هـ.
- القواعد المقررة والفوائد المحررة، البقري، تحقيق محمد المشهداني، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1417هـ.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، ط6، 1385هـ.
- كتاب المصاحف، ابن أبي داود، تحقيق سليم الهلالي، مؤسس غراس، ط1، 1427هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، العيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ.
- المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ.
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود، تحقيق دأحمد شرشال، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ط1، 1421.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي، تحقيق طيار قولاج، دار صادر، بيروت، د.ط، 1975م.
- المطالع السعيدة في شرح الفريدة، السيوطي، تحقيق د. نبهان ياسين، بغداد، 1977م.
- معيار العلم في فن المنطق، الغزالي، بيروت، ط3، 1401هـ.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق نورة الحميد، دار التدمرية، الرياض، ط1، 1431هـ.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأشموني، تحقيقي عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1429هـ.
- مناهل العرفان، الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3، د.ت.
- الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، أد. غانم الحمد، معهد الإمام الشاطبي، جدة ، ط2، 1437هـ.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق د. خالد أبو الجود، دار المحسن، الجزائر، ط1، 1437هـ.
- هجاء مصاحف الأمصار، المهدوي، تحقيق د. حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1430هـ.

- هجاء المصحف، يوسف الخوارزمي، تحقيق د. غانم الحمد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ط2، 1440هـ.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.
- الوسيلة إلى كشف العقيلة، السخاوي، تحقيق د. مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1426هـ.